الفصل الثاني والعشرون

حدود الهضبة

إن الإنسان كائن سياسي وهو قليلاً ما يهتم بتنظيمات الطبيعة أو حتى بتجاربه الماضية. وكانت نجران دائماً ضحية للصراعات الداخلية. لقد تحركنا بعيداً من الجزء التلِّي للهضبة دون أن نحس بذلك، تجاه السهل المستوي لأطرافه الشرقية لنجد أنفسنا فجأة ونحن نتبع خطي السلف المتنافس في كل من الشمال والجنوب. لقد تقدمنا لمسيرة خمس دقائق من آخر مسيل عبرناه من مصرف جَعَر حينما وصلنا إلى حافة هوة ضحلة في أرضية الحجر الرملي والتي يقع أسفلها حوض شعيب عرقة وهو أحد الرؤوس العديدة لوادي نجران.

غير أن الأهم من ذلك هو أن الطريق العريض المعبد الذي يقود إلى أسفل، كان مائلاً على امتداد جانب الجلمود إلى المجرى أسفل. عدنا مرة أخرى إلى طريق الفيل والذي يحف البلاد الصعبة من عند جنوب مجزع، وقد وصل إلى حاجز لا يمكن للفيل أن يدور حوله دون مساعدة الإنسان له، ولا نحتاج هنا إلى روايات محلية لتفيدنا بأن طريق السيارات العريض، المنحدر، والمتعرج في بعض أجزائه والذي قد انتزع من وجه الصخرة الرملية، كان بالفعل من عمل الإنسان.

لم تكن هنالك رسوم أو نقوش قديمة (أو حديثة) لتؤرخ هذا الموقع، والغريب في الأمر أن فترة الثلاثة عشر قرناً ونصف القرن التي فصلت بين درب الفيل ودرب السيارات وتعاقبهما في اتجاهين متضادين قد تركا أثرهما، فقد مرَّ

الفيل وقد مرت العربة لاحـتلال الأراضي التي تقع وراءه، لقد ترك الفيل آثاره في ذاكرة الإنسان، إلاَّ أن آثار سيارات الأمير سعود كانت لا تزال منطبعة وواضحة في الممر الصخري وفي مداخله لمن يرى. كان هنالك جهد يدوي بشري حذر بمساعدة الحبال والبكرات، وقد كان ذلك ضرورياً، بغرض إنزال السيارات بسلام إلى أسفل الجزء المتـعرج من الطريق، وقد تمت هـذه العملية بنجـاح وبلا خسارة. غـير أن ذكرى عبور فيل أسعـد كامل إلى أعلى الممر، وهو بطل الاحتلال الأول، لا تزال ترفـرف في أعلـى الذاكـرة المحليـة. لقـد رأى هؤلاء النـاس، على كل حـال، السيارات، وتقبلوها كأمـر واقع، إلاَّ أنهم لم يروا الفيل إطلاقاً وربما كانت لديهم فكرة غـامضـة عن هذا الحـيـوان العظيم. رجع ابن دهيش، بعـد زيارة قـصيـرة لزوجته، وهو لا يزال متذمراً لمرافقته لي فـي هذه الحملة ومعه مرشد محلي اسمه مسفـر، الذي كان أشبه ما يكون بالقرد منـه بالإنسان، وقد سرني أنهما مـعاً كانا يتحدثان عن ذلك الفيل.

يسمى هـذا الممر أحيـاناً شطبة، وقـد ظهر بهـذا الاسم في رسائل الأمـير سعود، غير أنني لم أجد تأكيداً مـحلياً لهذا الاسم، والذي يمكن أن يكون اشتقاقه من مجرى شطيـبة الذي يقع قليلاً وراءه. لقد هبطنا إلى خليج عـرقة العريض في غير مـا صعوبة، ومن ثم تتبـعناه إلى أسفل إلى قرية قرض التي تقع بين جـلاميد صخر رملي، ترتـفع أحياناً إلى ٤٠٠ أو ٥٠٠ قدم فوقنا. ثم اتسـع تدريجياً إلى أكثر من الميل الواحد إلى حيث موقع اتصاله مع مسيل عطفة الذي يدخله من جهة اليمين لنعـبر من بعـده إلى وادي ثويلة، الذي كان جانبـاه ممتلئين بأشجـار القرظ وأنواع الطلح الأخرى، كـان البدو الرعـاة يقومون بقطع أغـصان كبـيرة من هذه الأشجار علفاً للماعز. كانت الأشجار ليست فقط كثيفة ولكنها أيضاً مرتفعة العلو

بحوالي ٣٠-٤٠ قدماً، برغم هذا التخريب المتعمد الضارب في التاريخ. لقد تكون أمامنا الآن منظر جميل لأرض غابات في وسط الصخور الرملية الكئيبة في هذه الأقفار. أشار ابن داهشن إلى طريق، قبل أن نغادر مجرى عرقة، وهو الطريق القادم من ناحية نجران ماراً بتل مضرع، الذي يقع الآن ناحية الشرق من موقعنا، ويبدو أنه متصل مع الممر، الذي كنا قد سلكناه من ظهران، عن طريق ممر عرقة وممر ميين، ثم يتفرع هنا أيضاً إلى الشمال على طريق الفيل إلى كل من مجزع وطلحة، بينما يقود الفرع الطويل الآخر إلى نقعة ناحية الجنوب الشرقي.

كان هذا الممر الأخير هو الذي سلكناه لنعبر وادي ثويلة ومنه إلى سهل عريض رملي، كثيف الشجر، لقد كانت آثار عجلات السيارات التي عبرته عام ١٩٣٤م لا تزال واضحة. لقد أوصلنا صعودنا اللطيف إلى مستجمع أمطار منخفض ومن عنده اتجه السفح إلى الأمام إلى وادي الحصن، ويقع طريقنا عن النقطة الوسطية بين مجرى رافد حجر (أو طيب الاسم) وذي كحل، على يسارنا، وهما يصرفان مياه أرض من الصخر الرملي كانت عليها تلال وسلاسل غريبة وكان بعضها قد نحتته الرياح فأصبح في شبه عش الغراب العملاق ويقف على سيقان عالية، بينما اكتسب الآخر بشكله القضيبي اسم زب الوردة. أصبح سطح السفح الآن صعباً وقد انتشرت قطع من حجر صخري أسود نقلتها مياه الأمطار من السلاسل العليا، فوق طبقة حجر صخري ذي لون وردي.

لقد اقتربنا تدريجياً إلى مجرى ذي كحل المطوق بالصخور، لنصل إلى وادي الحصن، الذي يقع على بعد ٢٠٠ ياردة من موقع تدفقه. وقد كانت على بطنه الواسعة، المبطنة بألواح الصخر الرملي، العديد من البرك المائية يحيط بها نبات القصب الطويل مع الكثير من نبات الحلفا وأشجار القرظ المتناثرة من حولها. قررنا

لذلك أن نعسكر هنا لقضاء الليلة بالقرب من بركة كبيرة ذات ماء عكر والتي خفف عندها زملائي، عند الغروب، عطش صيام نهار اليوم، وبإسراف للدرجة التي لم تكن لديهم بعدها الشهية لتناول وجبة المساء الخالية من اللحوم، والمكونة من عجين طبخ بالسمن. لم أشرب ولا قطرة ماء منذ بداية رمضان، مكتفياً بالشاي والقهوة، وقد كنت الشخص الوحيد في هذه المجموعة الذي قام بإعداد وجبة حسنة الشهية في ذلك المساء وقبل الفجر، وقد لاحظت لأول مرة رطوبة مميزة على الأرض، وهي الندى. أقبلت في وقت لاحق من الصباح، بطة منفردة ناحية البرك، وقد أطلقت عليها رصاصة وهي تقترب من سطح الماء، غير أنني أخطأتها ولم أرها بعد ذلك.

يكتسب وادي الحصن اسمه من هضبة صخرية رملية منخفضة تشبه القلعة تقع في حوضه. كانت هذه الربوة وغيرها داخل المجرى ومن حوله قد حصنه بصخر يصل ارتفاعه إلى مستوى الصدر تم وضعه بواسطة القوات الزيدية، الذين تغلغلوا إلى هذا الموقع من منطقة نقعة عند بداية حملة عام ١٩٣٤م. استطاع حفيد الملك، وهو فيصل بن سعد، الذي كان يقود المجموعة المتقدمة من جيش الأمير سعود وبالقليل من المصاعب أن يرغمهم على الانسحاب من الوادي، الذي عسكر فيه هو لبعض الأيام أثناء ترتيبه للقوة لتتقدم على بقم. كما عسكر سعود هنا أيضاً عندما كانت قواته تجول سهل حمد الذي يمتد من جانب الوادي الأيمن إلى أسفل إلى جوار الحدود، ثم قام بدخول أرض اليمن حتى حدود قرية نقعة وعر، التي تم احتلالها ثم تدميرها.

كان حفيد الملك في هذه الحادثة، وهو خالد بن محمد، هو القائد، وقد قتل في المعركة ثمانية من رجاله بما فيهم حامل اللواء الذي سقط في الجبهة الأمامية

للمعركة وقد أصيب بجرح مميت. لم يذكر عدد أفراد العدو الذين قتلوا في المعركة، إلاَّ أن ٦٥ أسيراً قد أخذوا.

يرتفع الوادي في قعمة أبالشيخ ويتصل به على مسافة ميلين إلى أعلى تل حصن شعيب عقة، الذي ينساب فيه شعيب حجر عند أعلى موقع الاتصال. وتقع مجموعة من التلال المرتفعة، أمامنا ناحية الجنوب الشرقي، وهي متمركزة في سلسلة حضض وتشمخ منها قمم بارزة في كل من مرتكزه وعتم وكلاهما إلى يسار مسيل حنكة، الذي ينحدر إلى نقعة ماراً بذات انشان. يمكننا رؤية هضبة علب، بعيداً ناحية الغرب وهي تعلّم النهاية الأخرى للحدود على الخط القاسم لمسايل علبين، ويجري أحد الفرعين إلى بقم بينما يسقط الآخر في هوة تهامة على عمق ٢٠٠٠ قدم إلى أسفل. وقفت شثاث بارزة معلمة موقع ظهران، وما عدا ذلك، فلا يوجد ما يهم ذكره في هذا المنظر الكئيب الممتد أمامنا.

كنا الآن على ارتفاع ٦٢٠٠ قدم فوق سطح البحر، وكانت الليلة هي الأدفأ بين الليالي التي قضيناها منذ مغادرتنا نجران، إذ كانت درجة الحرارة الدنيا ٤٦ درجة. لحسن حظنا جميعاً، وأنا خاصة، إن مجموعة من رعاة يام بالحارث حضروا إلى موقع الماء ذلك الصباح وذلك قبل تحركنا لمواصلة الرحلة. وتمكنت من توظيف اثنين منهم كمرشدين لي لتوضيح العلامات الأرضية الخاصة بنجران، بينما اكتفى رفاقي بتأمين شاة منهم لوجبتنا القادمة.

انطلقنا، بعد هذا التدعيم للفريق، ونحن فرحين وسرعان ما وصلنا إلى وادي مخوار الواسع وهو رافد لحصن. يهبط مخوار من قهرة العنز التي ينبع من جانبها الآخر مجرى شجة هابطاً إلى برك شعيب جدالية على الحدود، والذي

يجـري داخل أرض يمنية، ليـتـصل مع وادي العرض بـالقرب من تل بربر، تجـاه الجنوب من موقعنا من هضبـة الحصن. كان مجرى مخوار كثـيف الشجر وخاصة أشجار الباليتو. ثم عبرنا فيمـا يليه، وبالتتابع، مصرفين ضحلين وخلالهما تندفع مياه سيول وادي حمد إلى المرتفعات السفلى من وادي الحصن. مررنا فوق المسطح اللطيف الذي يفـصلهما على زوان صـخرية رمليـة ضخمـة، والذي تحولت فـيه قاعـدته التي نحـتتهـا الرياح إلى مظلة ضـخمة مـن الصخر مـانحة ظلاً ظـليلاً للمسافـرين العابرين، الذين قضى بعضهم وقت الراحة في الخـربشة على الجدران بالصور العادية (وعل، فرسان، إلخ) بينما تمكن زائر حديث، بلا شك ينتمي إلى عضوية الجيش السعودي لعام ١٩٣٤م الذي كتب العنوان: ملك الحجاز وملحقاتها سعود بن عـبدالعزيز![1] لا بد أن يكون هذا الموقع قـد تم احتلاله بواسطة فـرقة عسكرية من الحوطة، غيـر أن الجيش كان قد انتشر فوق السـهل هنا وإلى مسافات معتبرة في كل الاتجاهات تاركين في أثرهم عدداً من المراجل الثلاثية الأقدام المكونة من الحجارة في مواقع نيران معسكراتهم والتي كانوا يطبخون طعامهم عليها.

لم يتبعنا -بالمناسبة- طريق الفيل الذي اختفى بعيداً تجاه الغرب، قبل أن يصل إلى وادي حصن ليـعبر فوق حَـجَر إلى مسـتجمع ماء شـجة ومن هناك إلى وادي جدالية. يمضـي طريقنا الآن خلال سهل حمد المـرتفع وهضابه الغربية المبـعثرة بين أشجار القرظ والطلح والتي تطورت إلى غابة منتظمة والتي كنا قد توقفنا فيها لننال بعضاً من الراحة في الظهيرة مدة ساعتين، في أرض لأشجار القفل والباليتو.

(١) يقصد عبد العزيز بن سعود وقرأها فيلبي حسب ترتيبها بينما هي العكس . (المراجعون).

obeikan.com

وصلنا إلى الحدود عند العمود الحدودي في ردم الحنكة واستقر بنا المقام لنعسكر في المسيل الذي تطوقه الصخور، بعد أن سرنا مسافة تقل عن الساعة فوق بلاد صخر رملي صعبة تنحدر تجاه ناحية حنكة ذي الرأس القمعي، وقد كانت صخور المسيل قد تآكلت بفعل الرياح وتحولت إلى مجموعة من الكهوف والمغارات والتي يمكن أن تأوى قرية من سكان الكهوف، غير أنني لم أر أي إشارة لاحتلال قديم لها. كان الصخر الرملي الحديدي أسود كالفحم ممتداً من أحد الجانبين إلى أعلى السفح الأسود لسلسلة شثيان، وعلى الجانب الآخر لشفة سهل حمد، حيث يطل من هناك على أرض يمنيه عند سفح الجلاميد. يقع على كل من جانبينا عمود حدودي وأعتقد، وأنا داخل كهفي الدافئ أن درجة الحرارة الدنيا كانت ٥٣ درجة وقد بلغت ٥٥ درجة في الليلة التالية – لقد نمت ونصف جسمي في أرض سعودية عربية ونصفه الآخر في اليمن.

يقع أسفلنا حوض مسيل نقعة وتشاهد فيه بعض أشجار النخيل كما شاهدنا أسفل الطريق الذي يقود إلى هناك مجموعة من الجمال التي أثارت شكوك ابن مسفر، رئيس الشرطة المرافقة لي. ذهب هو ورجاله لمتابعة الأمر، برغم الحقيقة بأنهم يدخلون بلا إذن أرضاً تابعة لدولة أخرى. ولم يمضي طويل وقت إلاَّ وقد عادوا إلى المعسكر ومعهم غنيمتهم: ثلاثة رجال وثلاثة جمال وخمسة بنادق- وكانوا سعيدين جداً بحصيلة يومهم. كان المهربون الثلاثة- وهذه حقيقتهم- من مواطني بريدة الذين قد استقروا حديثاً في أبها ليستغلوا فرص الانفتاح الجديد في التجارة.

جاءوا هذه المرة من هناك دون إثارة أي شكوك حولهم، ولولا سوء الحظ الذي واكبهم اليوم، لكانوا قد باعوا البنادق بربح جيد في صعدة. وربما عادوا بشحنة من البن لتهرب بالأسلوب نفسه عبر الصحراء دون دفع الرسوم عليها، لقد حرمهم اختياري لهذا الوقت غير المناسب لهم للوصول إلى الحدود ليس فقط من

مشروعهم التجاري وهو في مهده، بل ضياعهم أنفسهم إلى جانب وضعهم في موقف حرج جداً. لقد تناولوا معنا العشاء، بالطبع، وقد زارني رئيسهم عبود في كوخي ليلتمس تدخلي، ليس مع الحكومة ولكن هنا والآن مع الشرطة. لقد تمت مصادرة البنادق، بالطبع، وأمر ابن مسفر الرجال الثلاثة ومعهم جمالهم بمراجعة القائد في ظهران وقد فعلوا ذلك كما سمعنا لاحقاً، كنت آسفاً لحالتهم، وأحس بتعاطف معهم لأنه قد تم القبض عليهم وهم داخل أرض دولة أجنبية، وهو أمر لم يحاولوا استغلاله، لم أستطع عمل شيء لهم وقد ألقي القبض عليهم بهذه الطريقة واكتفيت فقط بالتعليق بأنه من السخيف لرجال محترمين مثلهم المخاطرة بمثل هذا العمل الشائن لأجل ثراء غير شرعي. كان الجانب السيء الخطر في الموضوع كله من وجهة نظرهم هو أنهم لم ينتبهوا إلى وجودنا في ناحية الحدود، فترجلوا من دوابهم عند برك حنكة المائية (وقرة) عند منتصف الطريق إلى المسيل لملء قرب المياه وهناك تم الإمساك بهم. كان بإمكانهم الهروب لأن تحركهم كان قد بدا قبلنا بمسافة طويلة، وبإسراع للخطى.

قررت أن أمكث هنا اليوم كله وذلك لأجل ربط خط الحدود من النقطة التي تمكنت من أن أرسمها وأقوم بمسحها من عند التلال أعلى واديي مروان والموفجة. ذهبت ومعي مسفر وابن دهيش والمرشدين الياميين إلى كومة حجارة حدودية تقع على سلسلة شثيان على بعد ٣٠٠ ياردة جنوب القمة، وتركنا فرج يلاحق ليصطاد الأرانب الأوروبية والتي يقال إنها وافرة هنا، وقد تمكن بالفعل من اصطياد اثنين منها. ارتفعت قمة السلسلة حوالي ٥٠٠ قدم فوق مستوى معسكرنا الذي أقمناه في رأس حنكة، وقد كان موقعه موفقاً للحصول على فكرة عامة عن المخطط العام للبلاد عند هذا الجزء المتشابك من الحدود. تجري سلسلة مارة بموازاة مع سلسلة

شثيـان، من الجنوب إلى الشرق إلى كتلة عتم على بعد الميل الواحـد من موقعنا، وهي من حجر رملي مماثل أسود.

يبدأ مـسيل ومـجرى وادي حـضض من عند النقطة التي تلتـقي فيـها الأطراف الجنوبية لهـما على بعد ربع الميل إلى شـمال الشمـال الشرقي لعلامـة الحدود، والذي يكون جانبه الأيسر، على امتداد قاعدة منارة الخط الحدودي الذي يصل إلى الفرجة بين الطرف الجنوبي لمنارة وقـاعدة عتم. يستـمر، من تلك النقطة، الجـانب الأيسر للوادي المتجة شرقاً لحضض كخط حدودي، إلى بقعة يتـصل فيها وادي العرض معه فيها على الجانب الأيمن، وعلى مسـافة أميال قليلة من هنا. تجري الحدود بعـد ذلك على امتداد الجانب الأيمن للمجرى، الذي يسمى الآن عرض، ثـم إلى قمم مسيل فرد الذي يهبط من القمة الوسطى لسـلسلة فرد –والتي أسماها مرشـداي الجديدان بني داحر– والذي يقف من فوقه آخر الأعمدة الحدودية التي سجلتها من منطقة نجران ويحمل رقم ١٢.

أخبرني مرشداي أنه قد تم نصب أعـمدة حدودية أخرى فوق كل من شحات الغميرة وعتم وجبل حضض –هذا اسم مرادف لشثيان–. لقد أبلغت الآن، رسمياً أنه لا توجد أعمدة حدودية بين كل من فرد وشثيان، ويعزى ذلك لأنه أثناء عملية التـعليم للحدود وقع خـلاف حول التـخطيط الصحـيح، ولم يحل بعد. كـانت البلاد، بما في ذلك سلسلة منارة، في الزاوية التي يكونها مجرى حضض تابعة بلا شك لآل حشيش، وهو قسم تابع ليام والذي ينتمي إليه مرشداي الجديدان. ولقد تم حل الإشكال في وقت لاحق لصـالح آل حشيش والمملكة الـعربية السـعودية، وذلك بتثبيت الحدود كما وصفتها هنا.

أصبح عمـود حدود شثيـان هو الرقم ١٣ على قائمة علامـات الحدود. تقع عتم داخل حدود مملكة اليـمن، وهي، مثلها مثل سلسلة شثـيان إلى جنوب ركام

الحجارة الحدودية ومسيل حنكة على جانبه الغربي إلى أسفل موقع معسكرنا. لقد سررنا بما فيه الكفاية أن نتمكن من حل مشكلة هذا الجانب غير المعلّم من الخط الحدودي وأن نكون قد أزلنا شجاراً محتملاً. يمكن أن يكون اسم شحات الغميرة اسماً مرادفاً لصخرة ذات العطف الرملية التي تقع في أرض آل حشيش إلى الشرق من سلسلة منارة.

توجد في أجزاء من سلسلة شثيان حجارة رملية مبعثرة يصل قطرها إلى ١٢ بوصة وكانت سفوحه مغطاة بنبات شجري شوكي يسمى شخض أزهاره وردية بوقية. يبدو أن الصخور الرسوبية التي تشاهد عند قاعدة التل من تكوين الشست مع كوارتز كثير. استطعنا أن نرى من هذا الموقع ولأول مرة الأبراج السكنية لحجر، في مسيله عند رأس وادي الحصن. كما لمحنا ناحية الجنوب أولى القرى الصغيرة الثلاثة المكونة لنقعة عند التقاء مسيل حنكة مع شعيب نقعة الذي ينساب ليتصل مع وادي العرض جنوب عتم. احتجبت القريتان الأخريان، مع اتجاه أسفل الوادي، وراء مضيق ذات انشان، وتبدو القرية التي كنت قد رأيتها مكونة من نخيل مشتت وبعض الحصون. كما رأيت قصور كونا التي يسكنها أهل عامر (وادعة) عند قاعدة سلسلة فيما يلي القريتين في الخط المباشر (ناحية الجنوب) لصعدة، التي لم تكن مرئية.

تقع سلسلة مرعة البركانية ذات القمم المستوية للسراة الرئيسة الآن ناحية الغرب من موقعنا وتقع سلسلة شحات الصخرية الرملية أمامها كما تقع بقم عند سفحها وتقف قلعة مهيبة قديمة تسمى أم ليلى على السفح للامتداد الجنوبي للسلسلة عبر وادي أصنام الذي يقال أنه يحتوي على قرى عديدة. تواصلت هذه المجموعة من الجبال جنوباً إلى أقصى مجال للرؤيا عبر الجبل الأسود وهي عينة،

وبنو حليفة وفلة وقعم الصبر، في هذا الترتيب من الشمال إلى الجنوب، كانت الأخيرة منها في اتجاه جنوب الجنوب الغربي من موقعنا. اتجه الخط الحدودي من شثيان ناحية الشمال الغربي تجاه تل عبل الذي يشاهد من ناحية غرب الشمال الغربي. ويقف جبل جفا في منتصف المسافة بيننا وبين تل عبل، ويقع في أرض يمنية، وتقع من ورائه قرية يبد، وهي بداية بلاد خولان ويسكنها قسم ابن سبحان التابع لتلك القبيلة في بلاد سحر.

مشينا سيراً على الأقدام على السفح البعيد لمجرى حضض ثم تتبعناه هابطين على امتداد الحدود إلى حيث انحناءته الحادة إلى اليسار بين طرف منارة وسفح عتم الحاد ومن ثم عبر مضيق رائع. كان الارتفاع في هذا الموقع حوالي ٦١٥٠ قدماً فوق سطح البحر، في مواجهة الصعود أعلى عتم والذي كانت قمته على ارتفاع ١٠٠٠ قدم أعلى من موقعنا. كان السفح من تركيب الشست ومسافة ٦٠٠ قدم مع الكثير من الكوارتز المتخلل له وكانت هنالك بعض أشجار اللبان التي أكسبت المنظر مسحة رومانسية. كان أحد هذه الأشجار نموذجاً عظيماً، إذ كانت أغصانها منتشرة مثلها مثل بعض أشجار نخيل الزينة الدخيلة. تسمى هذه الشجرة أعربة ويقال إنها تنمو إلى حجم كبير في جبال تهامة حيث تستخدم ألياف أوراقها في صناعة الحبال. يعترض شريط رفيع بين الأساس الشستي والحجر الصخري الفوقي لعتم مكون من الكوارتز ومن كسارة من خليط كوتقلوماريني، يبلغ سمكه القدم الواحد، ويصل ارتفاعه إلى ٦٠٠ قدم على جانب سفح التل، كما وجدنا هنا نباتاً يسمى تلب، وله ثمار توتية، يبدو أن هذه الثمار قد جذبت نحوها جملاً هائماً وزوجاً من غزلان حمر قد هربت إلى ما وراء التل للدرجة التي لم أتمكن حتى من رؤيتها. ربما كانتا من نوع غير معروف وذلك لأنها لا تبدو شبيهة بأي

من الغزلان العربية التي أعرفها. لقد قابلتنا هنا فتاة صغيرة بصحبة قطيع من الماعز. ربما كان قطيع الألبان لنقعة، غير أنه يبدو لنا أن المسافة إلى هنا طويلة لتترك فيها هذه الطفلة بلا مرافق في هذه البرية.

كان القسم الشرقي هو أكثر أجزاء المنظر العام بروزاً من عند القمة إذ أنه هو الذي يحتضن العلامات الأرضية لنجران. يقف أبو حمدان نفسه واضحاً بين تلال جانب الوادي الأيسر في اتجاه شرق الشمال الشرقي، وتقع من ورائه كل من عن دريب ورهوة كما يقف قرن بالحارث إلى اليسار بين تلال الجانب الأيسر، بينما كشفت صخرة الوادي المقابلة بعض قممها، منها خشم مدر، وعرير، وأبله، دون الحاجة لذكر بقع التي تطل على قرى وادي الفرع. ويقع قريباً منا ملتقى تربة المكون من كل من مروان وعرض، بينما يمكن متابعة المجرى الكامل للعرض وعلى مراحل إلى الخلف إلى حيث منبعه في سلسلة شحات، والذي يتجمع عند قاعدته كل من مصرفي الجبل الأسود وبني حليفة في مرتفعات السراة الرئيسة. الذي ينحدر إلى مخروط بربر، من عند بقم، ماراً إلى الجنوب منه ويدور إلى حوض واسع ضحل على مسافة ثلاثة أميال جنوب الجنوب الغربي من عتم. ينساب من هنا من خلال، التلال التي تمتد ناحية الجنوب الشرقي من عتم لتظهر مرة أخرى في الجانب الشمالي عند التقائه مع حضض بجوار دلوه العالية على مسافة ميلين ونصف الميل. يمكننا بهذا أن نضع رافداً آخر لنجران وبدقة على الخريطة.

أمكنني بعد ذلك رؤية قرية أخرى من قرى نقعة، تقع أسفلنا وتبرز من خلف زاوية قرية ذات أنشان، وهي عبارة عن ابراج قليلة في مزارع نخيل كثيفة، كما اقتربت من رؤية صعدة ناحية الجنوب أكثر من ذي قبل، وذلك بعد أن لمحت هضبة صغيرة تعلّم موقعها في حوض سهل سعيد. لم أتمكن من رؤية أي من منازلها، ولم يكتب

لي ذلك، بعدها. نظرت ملياً إلى اليمن ناحية جنوب الجنوب الشرقي، من فوق سلسلة كل من مفلوك وبرش، إلى سلسلة برد البعيدة، التي تحتضن بكيل (محمدي وحسيني) وهي بلدة سوق عنان. تقع قرية نشر في وادي آخر بالاسم نفسه، وهي غير مرئية لي، على مسافة جنوب مجرى عرض. لقد ملأت شثاث ونقاط مألوفة أخرى، الجزء الشمالي لهذا المنظر الكئيب بحق- كأنه بحر من حجارة رملية ونتوءات صخرية ترتفع كأنها الأمواج بين أحواض البازلت الأسود والشست.

هبطنا من فوق الجبل إلى نقطة على طريق نقعة عند أسفل مسيل حنكة، ومن ثم عدنا إلى المعسكر بعد أن تسكعنا بعض الوقت فوق الممر الضيق المكون من كسور صخرية بين جلاميد كئيبة من الشست. واصلنا دراستنا في الصباح اليوم التالي للحدود، سائرين حيناً وراكبين حيناً آخر على ظهور الحمير بحسب الظروف، وكان عمود حنكة الحدودي رقم ١٤، يطل على رأس المسيل. كانت كومة الحجارة التالية، وهي بلا اسم، قد وضعت عند حافة الصخرة على مسافة ٥٠ مقياس سلسلي من حافة حنكة، وقد تم استخدام النظام السلسلي كوسيلة مساعدة للوصف الرسمي للحدود، إلاَّ إنه قد هجر سريعاً بوصولنا إلى المنطقة التالية. كانت السلسلة كما أذكرها تعادل ٢٠ متراً، وعليه تكون المسافة بين عمودين، بهذا المعنى، تعادل كيلومتراً واحداً. ولقد لاحظت ناحية الجنوب شريطاً من أكوام الحجارة على الحافة السفلى للصخرة، وقد تم وضعها (كما قيل لي) بصفة غير رسمية لتعليم الحدود قبل حرب ١٩٣٤م.

يمكن، على هذا الأساس، تجاهلها، وذلك لأن لجنة الحدود المشتركة قد أرجعت الشريط لصالح اليمن. يقع كوم الحجارة التالي على بعد ٥٠ سلسلة من سابقة على رأس مسيل مسياد (رقم ١٦) إلاَّ أن الوصول إليه قد استغرق منا

٤٠ دقيقة عن طريق ملتوٍ فوق سلسلة في بلاد قد حـرقتها الشمس. يجري مسيل مسياد إلى أسفل حنكة ومنها إلى نقعة. ثم سرنا على الأقدام بعد ذلك إلى أسفل سلسلته إلى غابة أشجـار قرظ كثيفة، لنجد أن مسـتوى الأرض قد مال إلى أعلى من عند حافة الجلمود في اتجاه الجنوب، وفي اتجاه شمـال شرقي ناحية سهل حمد وخطوط صرفه، والتي عند رأسه، جنوب غرب كومة حـجارة مسياد، يقف فوقها العمـود الحدودي التـالي. كان هذا العـمود بالفعل على سـلسـلة تـكوّن قاسـماً شماليـاً - جنوبياً ويعرف في القـائمة الرسميه باسـم رأس حمد (رقم ١٧)، وهو وصف كافٍ لموقعه.

يواصل خط الحـدود اتجاهه الشمـالي الغربي، الذي تم تحـويله بعض الشيء ناحية الجنوب ليـشمل مصرف كل من حمـد ومرعى ويقعان بكاملهمـا في العربية السعودية، إلى حـيث كومة حجارة رأس العر إلى مـوقع معلم على سلسلة وعو. لقد تم وضع كوم حجارة العر (رقم ١٨) فـوق هضبة صخرية على الطرف المكسر لوتر ضحـل تنحدر من عنده نهـيرات عديدة، لتـكون مسيل العـار، الذي، أثناء مروره بقـرية بالاسم نفسه عند قـاعدة رفة، يتصل مع مـجرى نقعـة على الجانب الشرقي لتل بربر. تفصل الحدود من عند عمـود شثيان إلى رأس العر، بين وادعة من منطقة ظهـران وقبيلة وعـيلة اليمنية، التي كـانت حتى شثـيان من عند النقطة الأقصى تجاه الشرق، عند تنصب، قد فصلت بالأسلوب نفسه من منطقة قبيلة يام في منطقة نجران.

يفصل مسيل العر على جانبه اليمني بين قبيلة وعيلة وقبيلة بني حليفة الخولان التي تتاخم مع وادعة حتى العمود الحدودي لجادلية، والتي فيما يليها، يوجد قبيلة سـحر خـولان الذين انفـصلوا عن أقـربائهم بني حلـيفـة بواسطة ذلك المجـرى

ويلتقطون الحدود التي تتاخم الحدود إلى قبيلة علب، مع قبيلة وادعة، والذين يكونون مجموعة قبلية سعودية يمكن مقارنتها مع قبيلة يام، إلا أنها أصغر منها، ومن الأصل نفسه النهائي لحمدان بن زيد. تمتد عناصر قبيلة وعيلة وقبيلة خولان في شريطيهما المتوازيين إلى ناحية الجنوب، حتى بلاد بكيل في محيط برد. تعود أصول قبيلة حمدان، المكونة من كل من يام وادعة إلخ، إلى زيد الهلالي، بينما تتبع كل من قبيلة خولان وقبيلة قحطان لبني عامر.

استمرت كثافة الأشجار في البلاد التي تلي عمود العر الحدودي مع هضبات من صخر رملي وسلاسل ترتفع إلى ٣٠٠ أو ٤٠٠ قدم فوق مستوى السهل. يبدو أن هذه الأراضي قد اعتادت على هطول أمطار غزيرة مقارنة بالأراضي إلى الشمال والشرق وهذا هو أيضاً حال المنطقة المماسة لحدود اليمن الشمالية. كان سهل حمد بصفة عامة وهذا الجزء الغربي منه بصفة خاصة، كثيف الأشجار مقارنة بأي جزء آخر كنت قد رأيته في الجزيرة العربية خارج جبال تهامة، التي تقع في ممر الرياح الموسمية. وصلنا إلى وادٍ رملي كثير الجنبات، بعد أن تعرج طريقنا خلال الغابات وعبرنا بأطراف السلاسل مدة نصف ساعة، تتبعنا مجرى الوادي عبر الجلاميد العالية المتآكلة بفعل الرياح إلى موقع يلتقي فيه مجريان، أحدهما من الجنوب والآخر من الجنوب الغربي، ليكونا رأس الوادي بين شجيرات وصخور ذات ظلال تغطيها النقوش الثمودية وعلامات المياه. كان هذا هو وادي حلقة ولعله اكتسب هذا الاسم من علامات الآبار الدائرية، وهو على أي حال رافد مهم لوادي الحصن.

كانت هذه البقعة بنقوشها، علامة حدودية ضاربة في القدم بين قبيلة بني حليفة (خولان) وبني جمعة (وادعة)، ولهذا فقد وافقت اللجنة الحدودية بقبولها

معلماً حدودياً بلا حـاجة إلى عمود حدودي أو كوم حجارة. اتخـذت هذه البقعة الرقم ١٩ في قائمة العلامات الحـدودية، ويمكن اتخاذ الخط الصحيح للحدود هنا بأنه يقع عند النقطة الوسطيـة للمجـرى بين الدوائر التي رسمتـها كل قـبيلة على صخـورها الخاصـة بها. كـانت بعض النقوش الـثمودية قـد تآكلت كـثيراً بفـعل الطقس، غير أنني قمت بنقل تسعة منها، وكـان إجمالي عدد حروفها ٧٣ حرفاً. لقد كانت بلا شك أكبر مجموعة للنقوش أتحصل عليها على الهضبة فعلياً.

تتبعنا طريقنا إلى أعلى الفرع الجنوبي الغربي للوادي، وسرعان ما ابتعدنا عنه تجاه الشمال الغربي أعلى السفح للسلسلة المحيطة التي هبطنا من قمتها تدريجياً عبر سفح حجري صعب، تنتـشر فوقه ألواح وكسور لصخر رملي، حـتى كومة حجارة بلا اسم (رقم ٢٠) تطل على وادي شجا. اتجهنا الآن ناحية الشمال، لنصل خلال دقائق إلى مـسيل محيـريشة، ونتبع مجـراه الشمالي الغـربي فوق بطن من ألواح صخر رملي يكسوه غطاء نباتي ثري من أشجار الباليتو والقرظ. يجري المسيل إلى أسفل في مضـيق عرضه ٥٠ ياردة من صخور ارتفاعـها ٢٠٠ قدم، تنكشف عن دلتا صغيرة ذات غطاء نباتي كثيف، والتي قـد اندمجت سريعاً مع فم مسيل سلفه من جهة غـرب الشمال الغربي، ومسيل قـفية شجا من جهـة الشمال، داخل وادٍ صغير كثـيف الشجر والذي يدخله شعيب شجا من ناحية الشـمال الغربي ليجري داخله في اتجـاه جنوبي إلى ما وراء منحنى حـاد، وفي وسط غابة من الحلفـا تقع البرك المائية بجدلية التي تغذيها العيون في وسط حلقة من السفوح الخضراء بالنبات عند موقع التماس للصخر الرملي الأعلى مع الجرانيت التحتي، حيث تسيل العيون إلى خارج السطح.

كنا هنا على المنحدر المعاكس لمستجمع الماء، على ارتفاع ٦٢٠٠ قدم فوق سطح البحر، عند موقع لقاء حقيقي لمجاري سيول ذات حجم معتبر وكثافة لنباتات الذروة التحتية. كما يوجد، إضافة إلى المجاري التي قد أشير إليها، مسيل جدلية الذي ينحدر من مستجمع الماء ليتصل بالوادي الصغير الذي يقع بين محيريشة وقفية شجا، بينما توجد أسفل البرك جدلية أخرى، أو جدلية سفلى، يدعمها مسيل ضبع القادم من الشمال الغربي، ليدخل مجرى شجا من عند جانبه الأيمن عند المنحنى.

لقد وضعوا حدود جدلية، مباشرة مقابل وأعلى هذا الموقع وعلى صخرة على الجانب الأيسر، على ارتفاع ٢٥٠ قدماً فوق مستوى بطن المجرى، وذلك لتعليم النقطة الثلاثية التي تلتقي فيها كل من قبائل وادعة وبني حليفة وآل سحر. لقد عسكرنا لقضاء الليلة على بعد ٥٠٠ ياردة من هذا باتجاه أعلى الوادي بالقرب من البرك، غير أنني لم أضيِّع وقتاً فقد أسرعت للصعود إلى العمود الحدودي الذي أحاطت به الجلاميد للدرجة التي دفعتني للصعود أكثر لألقي نظرة على المحيط الذي حوله. يحمل هذا العمود الرقم ٢١ للحدود. ويطل الرقم ٢٠ على محيريشة، ناحية الشمال الشرقي منه، ويحمل الذي يليه الرقم ٢٢ ويقع في الجزء الأعلى من مسيل ضبع ناحية الشمال الغربي، وقد كانا قريبين من موقعنا. لقد لفت نظري فجوة في مستجمع الماء –وهذا موضوع بعيد عن موضوع الحدود– تقع ناحية الشمال الشرقي، ويمر من عندها درب الفيل ليدخل مسيل جدلية العليا وليهبط منه إلى برك الوادي الضيق، ومن ثم يواصل انسيابه ليدخل وادي شجا ومنه إلى وادي العرض ثم يعبر الأخير هذا في طريقه إلى صعدة. لا يصلح هذا الجانب للدرب المشهور لحركة السيارات. ينحدر وادي شجا نفسه من سلسلة ضربة

العاليـة إلى الوراء ناحيـة شمـال الشمال الغـربي، حيث يكون منبـعه هو مـسيل خربان.

خرج فرج حاملاً بندقيتي ومعه أرنباً، بينما كنت أقوم بأنشطتي الجغرافية، لم ألحظ طيوراً لافتة للانتـباه وقد كانت البلابل متوافرة هنا وكذلـك البلاكستارتس و القنابر. كانت الليلة لطـيفة وقد أحـاطت بالقمر هالة من ألوان قوس قـزح، بينما بشرت سحـابات خفيفة بتغـيير محتـمل في الطقس. هبت الرياح أثناء النهار من جهـة الجنوب الغربي، إلاَّ أنهـا سكنت تماماً عند غـروب الشمس وقـد أدفأت لنا الليلة إذ كانت درجة الحرارة الدنيا ٤٨ درجة.

أدهشني عدم وجود رعاة حول الماء عند وصولنا، والشخص الوحيد الذي كنا قد رأيناه، من غير أفراد مـجموعتي، كان زائراً عابراً مسناً غبـياً وكان قد شاهدنا من بعيـد وجاء إلى المعسكر على أمل أن يحظى بوجـبة طعام. كان اسمـه حسين وهو من رعاة آل فـاطمة -ربما يتبـعون آل حشـيش- ويرعون قطعـانهم في سهل حمد، وهو من شاكـلة المرشديْن اللذين يعملان معي وكنا قد ألحـقناهما معنا في وادي الحصن. وأطلقنا سراحهم حـديثاً بعد نهاية العقد مـعهم. لقد ظل مرعي، وهو من قبـيلة وادعة معنا، كمـا وافق حسين أن يرافقنا على الأقل إلى مـعسكرنا الآتي. لم يكونا متفـقين دائماً على أسماء الأماكن، غـير أنني وجدتهما مـفيدين جداً كمصححين لبعضهما البعض.

صعـدنا إلى خارج الوادي في الصـباح من فـوق عرن السلسلة لندخـل ضبع والذي وصلنا على جانبـه الأيسر إلى عمود حدودي، من كـومة صغيـرة والحجارة غيـر بارزة. يبدو أن بطن المسيل يقع في أرض يمنيـة ويتصل مع وادي شجـا أسفل عمـود جدلية الحـدودي. ثم وصلنا إلى كتلة كبـيرة لحجـر رملي، بعد أن واصلنا

سيرنا على المسيل متجهين ناحية غرب الشمال الغربي إلى ما يلي موقع تدفق حلقم من عند سلسلة خطا العالية تجاه الشمال الغربي، كانت تلك الكتلة على الدرب عليها نقوش ثمودية طويلة مكونة من ٣٠ حرفاً، بينما وجدنا على بعد مسافة بعض الرسوم للوعل وكلاب الصيد على صفحات جلاميد متشابهة مفككة. وصلنا هكذا إلى رأس ضبع على ارتفاع ٥٠٠ قدم فوق موقع التقائه مع شجا كما دخل من الجانب البعيد مجرى رحب والذي يدخل إلى شجا أيضاً، قليلاً إلى أسفل.

دخلنا إلى مضيق جميل، بعد أن تتبعنا جانبه الأيسر، كان عرضه ١٠٠ ياردة ويقع بين صخور شديدة الانحدار، لنصل بعدها إلى العمود الحدودي التالي (رقم ٢٣) الذي يعرف باسم عليب وهو اسم الجزء الأعلى لمجرى رحب من فوق المضيق. كانت هنالك بركتان كبيرتان للماء في هذا الموقع المجرى، يقال: إنهما مستديمتان، بينما برز شريط نحيل للبازلت يشق طريقه إلى أعلى، خلال الصخر الرملي، ليكون طريقاً للعبور يبلغ عرضه ٧ أو ٨ أقدام وقد شمخت الصخور الرملية على جانبيه.

كان العمود الحدودي على قمة صخر رملي على جانب الوادي الأيسر، أعلى البرك، والتي لا بد أن يكون موقعها على بعد ٥٠٠ قدم أسفل منا. كان الارتفاع هنا حوالي ٦٧٠٠ قدم فوق سطح البحر، وقد أمكننا رؤية بطن علب وهي مرتفعة في ثبات ناحية سلسلة وعو الصخرية الرملية إلى الغرب، على مسافة ميل واحد فقط. أمكننا كذلك رؤية كوم الحجارة الحدودي لوعو على قمة السلسلة وكذلك كوم حجارة حدود جدلية إلى الخلف من موقعنا ناحية الجنوب الشرقي. كان تل دلنان معلماً مثيراً للانتباه ويقع ناحية الجنوب الذي إلى الشرق منه يجري طريق الفيل أسعد كمال كما روى مرشداي، وهو يعبر أرض آل سحر متجهاً إلى صعدة.

ثم واصلنا سيرنا فوق الجانب الأيسر المرتفع لعلب، ووصلنا بعد ساعة من المسيرة الصعبة إلى قمة وعو وإلى عمودها الحدودي، رقم ٢٤، على ارتفاع ٧٣٠٠ قدم فوق سطح البحر. لقد سيطرنا، من هذه البقعة المثيرة، على منظر رائع ليس به إلا القليل من السمات الجديدة، مثل القلعة الصغيرة (قصبة الحيد) التي تقع فوق قمة هرمية على سلسلة السراة قليلاً ناحية الجنوب الغربي. قال عنها مرشداي أنها تطل على بلدة صغيرة أو قرية كبيرة اسمها ساقين عند قاعدة التل وعلى جانبه القريب.

ظهرت الآن جبال عرو ورازح، التي ورد ذكرها كثيراً أثناء المراحل الأولية لحرب اليمن، ولأول مرة من وراء الكتف الأيسر للجبل الأسود، وبالطبع، داخل الحدود اليمنية. يقع تل علب ناحية الشمال الغربي من موقعنا وتقع قلعة أم ليلى تجاه الجنوب الغربي، بينما وقفت شثاث في تجاه شمال الشمال الغربي ومعها قرن سبط الذي يشاهد بوضوح ناحية الشمال. كانت بعض قمم نجران مشاهدة من ناحية الشرق وهي قرن بالحارث، وزبره، وعرير، بينما تقع الأعمدة الحدودية لعتم وشثيان ناحية شرق الجنوب الشرقي. يمكن أيضاً رؤية بربر، وبرش ومفلك وكذلك برد البعيدة، ناحية الجنوب أكثر.

وصلنا بعد تسلق صعب فوق السفوح المنحدرة الحادة على الجانب البعيد من وعو إلى هبوط في الارتفاع يقدر بـ ٥٠٠ قدم إلى مجرى تكسوه أشجار الباليتو ويسمى شعيب ضريفة، والذي ينساب من هنا ناحية الشمال الشرقي لمسافة قبل أن ينحني ليتصل مع وادي شجا من عند موقع دخوله إلى وادي جدلية الصغير. توجد في حوضة وهي أعلى موقع اللقاء، بعض الثقوب المائية (حيرة) تسمى ضريفة. سلكنا هذا المجرى إلى أعلى ناحية الجنوب الغربي، حيث يصل إلى فاصل صخري ضيق يبعده عن وادي شعيب شعبة. ينساب هذا المجرى جنوباً ليتصل مع شعيب

ثيبان، الذي ينحدر من عند ممر علب ويتصل في نهاية الأمر مع وادي شجا بالقرب من موقع التـقائه مع وادي العرض بالقرب من بربر. ينـبع وادي شجا نفسـه، كما قيل لي، من مـوقعين في جوانب كـتله صخريـة رملية تسمى ضـراوية والتي كان عمودها الحدودي مرئياً لنا من عند القمة إلى الشمال الغربي من موقعنا.

توجد برك مائية في شعيب شعبة عند موقع التقائه مع ثيبان، بينما يقع العمود الحدودي لشعبة على مسافة ٥٠٠ ياردة فقط من رأس ضريفة في اتجاه شمال الشمال الغربي وعلى ارتفاع ٧٠٠٠ قدم فوق سطح البـحر. قررت أن تتوقف عندما وصلنا إليه، للراحـة ولننال قسطاً من النوم الخفيف على الرغم من أن الجـو كان بارداً عند ذلك الارتفاع، وكـانت السمـاء ملبدة بالسـحب، منذرة بالرعود من جـهة الجنوب الغربي. كان هذا هو كوم الحجارة الحدودي رقم ٢٥ في السلسلة الحدودية.

لقد أرسلنا حـميرنا فـوق طريق سهل لتـقابلنا فيـما يلي رأس شعـبة والذي يحمل صرف ميـاه سفحه الشمالي مـسيل سيلة معدة الذي ينساب ناحـية الشمال الشرقي ليتصل مع موقع التقاء كل من فرع جليل من ناحية الغرب وتقبلة على بعد نصف الميل من مـوقعنا، ويسمى المجـرى بعد ذلك باسم حـجفة ويواصل سـيره ليتصل مع وادي شجـا. لعل القارئ الآن قد أدرك التعقيد الكـبير للنظام الصرفي في هذه الأرض الصخـرية الرملية المكسرة، غـير أنه يجب القول هنا بأنه بالنسـبة للرعاة المحليين المنتـشرين في هذه الأراضي، فإن كل مجـرى فيها يمثل قـسماً من أراضي الرعي والتي هم دائماً على استعداد للدفـاع عنها ضد المعتدين. مررت في هذا المسيل نفسه، أي سيلة معدة، أثناء هبـوطنا، بتذكار كئيب وغريب لمعركة من هذه المعـارك كانت قـد حـدثت قديماً وفي عـام ١٨٩٤م بين قـبيلة وادعـة، وهم يدافعون عن مراعي بلادهم، وآل هاشم وهم قسم من قبيلة وعيلة.

كان ما شـاهدته هنا عبارة عن مجمـوعة أكوام من الحجارة وهي مبـعثرة في المنطقة محددة الموقع الحـقيقي حيث سقط الأفراد المدافعون عن القـبيلة أثناء قتالهم المعتدين، والذين بناء على الروايات المحلية، التي تصف المعركة بأنها كانت كبيرة، قـد تم دحرهم بخـسارة كـبيـرة، توجد عـشرات من هذه الأكـوام الحجـرية في المجموعة الواحدة لتـشير إلى ثمن انتصار قبيلة وادعة. كما قـد ذكرت لي معركة مماثلة أخرى، وأنها قد وقعت في ضهبة بالقرب من سلسلة عجمعين جنوب شرق ظهران، ولقـد ذكرت سابقاً مـوقع معركة ثالثـة عند الهضبـة جنوب بدر. امتطينا ظهور الحميـر الآن لنواصل سفرنا فوق سفح سهل تجـاه الكتلة البارزة التي تسمى ضراوية، والتي قـد وصلنا إلى قاعدتها، التي كـانت عند مستوى الارتفـاع نفسه الذي كان عليه رأس شعبة، وذلك خلال ٢٠ دقيقة.

كان صعودنا فـوق الصخور على السفح المنحدر صعبـاً جداً. أصابت الجروح يدي بسبب الصدمات والسقوط المتكرر بين الجلاميد الحادة لهذه البلاد. وكان الأمر أيضاً صعباً على كعوب أرجلنا والأجـزاء العليا للأحذية المطاطية. كان هذا الصعود من أسوأ مـا قد واجهناه حتى الآن، برغـم أن القمة كانت على ارتفـاع ٤٠٠ قدم فقط من القـاعدة، لنقل ٧٤٠٠ قـدم فوق سطح البحـر. سقط رذاذ مطر خـفيف حينما وصلنا إلى الـقمة، في ذيل عاصفـة كانت عابرة فوق المرتفعـات الغربية من الجنوب إلى الشرق خـلال فترة ما بـعد الظهر كلها. سـعدنا بعد ذلك بمشـهد نادر لقوس قزح رائع ولمدة طويلة بألوانه البديعة- وكان طرفا دائرته التي تمثل ثلاثة أرباع الدائرة، ظاهرين بوضـوح عند قاعدة السلسلة على الجـانبين، بارزاً من عند الموقع نفسه الذي كنا قد بدأنا منه تسلقنا ومستديراً من فوقنا وإلى أمامنا ليهبط عند البقعة التي تنتظرنا فيهـا حميرنا، بعد أن استدارت حـول السلسلة، على الجانب الآخر.

خلدت بقية أفـراد مجموعتي للراحة في المعسـكر في هذه الأثناء لقضاء الليلة عند قاعدة تل يسمى مهد على بعد الميل الواحد تجاه شمال الشمال الغربي.

لم يكن هنالك ما يبرر بقاءنا أكثر من ذلك عند القمة، وقد اعتدت على المنظر العام، والذي كانت سمته الوحيدة الجـديدة هي جرف عالٍ من صخور رملية يسمى غرا، ناحية الجنوب الغربي، على جانب واحد من الممر المشهور المسمى باب الحديد أو أم حديدة كما يسمونه في هذه الأنحاء، وهو البوابة الحديدية التي تقود إلى اليمن عن طريق بقم. كمـا توجد كومـة حجارة أخـرى على قمة ضـراوية على بعد الميل الواحد تجاه الغرب، غـير أنها كانت أرضاً قبلية قـديمة أو علامة حدودية. ولا دخل لها بالحدود الدولية، والتي وصلنا عندها إلى العمود الحدودي رقم ٢٦.

كان العمـود الحدودي التالي، ٢٧، لا يزال على سلسلة ضراويـة عند طرفها الشمالي ويسمى فـرض الركة. لا يزال قرن بلحارث التابع لنجران مـرئياً لنا ناحية الشرق، غير أن بقية المعالم الأرضية الأخرى لنجران قد غابت عنا بسبب السلاسل المعترضة.

لم يعترف حسين الفاطمي، على أي حـال، بقرن بلحارث، كما أنه لم يكن مفيداً كمرشد وكان كذلك حال مرعى الوادعي برغم أنه كان يثرثر كالقرد. يرتدي حسين ثوباً من السـمق مصبـوغ بكثافة بالنيلة وملتـصقاً مع جلده، ويرتدي فـوقه سمـقاً أبيـض اللون للأناقة. وكـان يحتـذي صندلاً مصنوعـاً من مطاط إطارات سيارات تالفة، وكان دائـماً يحمل أحد الحذائين ليحميـه من ضرر الصخور! كان ابن داهشن يمثل دعامتي الأساسية، برغم أنه لم يكشف عن أي معلومات جغرافية تفصيلة، خلال هذه الأيام الطويلة الكئيـبة التي قطعناها سيراً على الأقدام، ونحن

نصعد صائمين. تركت فرج واستقلاليته للصيد، علماً بأن ذلك لم يكن كثيراً، إلاَّ من أرنبة خجـولة، في هذه البلاد المعزولة. لم أر الكثير من بقـية الرفاق، إلاَّ في المعسكر فقد كانوا سعيداء بمتابعتهم للطريق الأقل مقاومة والأكثر راحة.

وصلنا إلى المعسكر مع غروب الشمس وقد مررنا بصخرة على جانب الطريق وعليها نقوش ثمودية، وتركت أمر نسخـها إلى صباح الغد. كان يوجد نقش آخر من تسعة حروف يقع بعيداً قليلاً من الصخرة الكبـيرة والتي كانت صفحتها مغطاة بنقوش عديدة تشتمل على ٦٥ حرفاً في جملتها. أقمنا معسكرنا في تل مهد على الجانب الأيسر لوادي تقبلة والـذي كانت توجد فيه أيكة جميلة من شـجر القمر، والذي يستـخلص البدو من سيقـانها اللحميـة دهناً يستخدمونـه في علاج الجرب وغيره من أوجاع الجمال.

رأينا في هذا المجرى وفي مـصارف مماثلة في هذه المنطقة، الكثيـر من شجرة يسمـونها نهدية شـديدة الشبة بالـطعسوس، والتي تسـتخدمـها النسوة في غـسيل الشـعر. كـانت شـجرة الـقرظ وافـرة هنا، إلاَّ أن ابن داهشن ذكـر لي بأن أوراق القرظ، على عكس الطلح وأنواعـه الأخرى، لا يصلح علفاً للإبل. لقـد شاهدت الجمال تأكله بحرية في حضرموت، ويبـدو أن الجمال المحلية هنا تفعل ذلك أيضاً، إلاَّ أنها لا بد وأن تتأقلم عليـها طوعاً أو كرهاً. تتأذى الجمال الغـريبة من أكله كما حدث لجمـال السعوديين أثناء العمليـات في حمد خلال حرب الـيمن. كانت هذه البلاد أرضاً كئيبة ومعزولة، على الرغم من كسائها النباتي الأخضر، يبدو أن شجرة اللبان (اعـربة) تنمو بغـزارة في هذه السلاسل الصخـرية الرملية مثـل سلسلة وعو وضراوية.

سلكنا سلسلة نهد صباح اليوم التالي، صاعدين إلى أعلى الوادي إلى فترة، قبل أن نضرب تجاه الغرب من خلال غابة من أشجار القرظ أسفل ضراوية إلى القاعدة الشمالية لضراوية، والتي وصلنا إليها خلال ٢٥ دقيقة. ثم وصلنا بعد ١٠ دقائق من الصعود إلى العمود الحدودي (رقم ٢٧) الذي يقع عند ارتفاع ٧١٠٠ قدم فوق سطح البحر في سرج منخفض به قمتين للسلسلة يقعان في أقصى الشمال. يجري مسيل ركة، على الجانب البعيد منه، إلى أسفل في اتجاه الجنوب ليتصل مع ثيبان. ثم هبطنا سالكين الطريق الذي صعدنا عليه، وكنا ممتطين حميرنا، وتواصل السير على الخط الكفافي لقاعدة ضراوية إلى مسيل معول، الذي سلكناه إلى رأسه في مضيق، والذي من عنده هبطنا إلى مسيل عروس. يجري مسيل عروس بجوار بعض البرك الواقعة في بطنه ليتصل مع شعيب مجزة من ناحية الغرب، والذي بدوره يتصل مع معول إلى أسفل مع شعيب حجر، ومنه إلى وادي الحصن.

تركنا العروس بالقرب من منحنى البرك وضربنا السير فوق مسيل يسمى معول عجم والذي هبطنا من عند رأسه إلى شعيب بطح الذي سلكناه، وهو رافد لمجزة. أصبحت التلال شديدة التشابك ومختلطة ويصعب رؤية ما يحدث في الحدود، التي تقع على امتداد طريق متعرج يجري تجاه الغرب. كان مسيل بطح قليل الأشجار والتف بعد فترة ناحية رأسه في سلسلة وردية اللون وليست بالبعيدة ناحية الشمال الغربي، تاركاً لنا في مدرج جبلي طبيعي والذي من عنده وصلنا، بعد تسلق استمر مدة ساعة على السفوح الصخرية العادية، إلى قمة جبل أحد وعموده الحدودي القائم على حافة هوة رهيبة.

كان ارتفاعنا على هذه القمة حوالي ٧٦٥٠ قدماً فوق سطح البحر، وهو أعلى موقع وصلناه في الحدود حتى الآن، ولا بد أن يكون حوض وادي ثيبان عند أسفل الهاوية على بعد ٢٠٠٠ قدم أسفل من موقعنا وقد هبطت عليه صخرة شديدة الانحدار وتستدير من حوله في شكل نصف دائرة جروف مخيفة لتكوِّن صدعاً يبلغ عرضه ٢٠٠ ياردة والذي ينحدر منه مسيل ثيبان ومسيل آخر يسمى يبد من جهة الغرب والجنوب الغربي بالتتالي في سباقهما ناحية كل من شجا وعرض. كان كلاهما جافاً في هذا الوقت، وكان بطن الهوة محتوياً على برك متقطعة غير أن الأمر يحتاج إلى قليل من الخيال لتصور ما سيكون عليه الحال خلال موسم السيول وحين تصب المياه الهادرة من هذا العلو.

يهبط مسيل يبد من عند فجوة في الصخر الرملي على مسافة أميال قليلة، وتقع قرية يبد نفسها إلى الوراء على السلسلة نفسها، بينما يقع منبع ثيبان ببضعة أميال في أرض مرتفعة مكسرة. نحن نقترب الآن من الجرف العظيم ذي السلسلة البركانية المسطحة واسمه شاعر الذي وضحت حافته بجوار علب، الذي لم يكن مرئياً لنا، إلاَّ أنه يقع غرب الشمال الغربي خلف كتلة سبهتل المعترضة. كانت أبعد النقاط المرئية لنا هي قرن سبط ناحية الشمال والمعلم الأرضي برد ناحية الجنوب الشرقي.

قضينا حوالي ساعة عند هذه النقطة الحدودية (رقم ٢٨) مستمتعين بالمنظر العظيم الذي وقفنا عليه. كما استغرق وصولنا إلى البقعة الحدودية التالية وهي فرض عصعر (رقم ٢٩) ساعة كاملة أخرى، على الرغم من أنها لم تبعد بأكثر من ميل واحد. كان الارتفاع مثل الارتفاع عند أحد حوالي ٧٦٠٠ قدم فوق سطح

البحر، ولكي نصله كان علينا أن نهبط بعض الشيء لنصعد فوق سفح آخر يقودنا إلى مضيق ضيق والذي على جانبيه ينحدر المسيل بحدة إلى كل من ثيبان ومجزة بالتتالي – وهو منبع آخر مزدوج الرأس لوادي نجران.

يمتاز هذا العمود الحدودي بأنه لا يمكن رؤيته من أي موقع غير شثاث، وبعض التلال التي ساعدت على تثبيت موقعه، وقد استغرق وصولنا إلى العلامة الحدودية التالية، حوالي ٢٠ دقيقة فوق سلسلة واصلة صعبة، التي تقع على هضبة سبهتل العالية (رقم ٣٠) والتي يبلغ ارتفاعها ٧٨٠٠ قدم فوق سطح البحر. لقد كانت هضبة منعزلة، تملأ الفجوة بين جرف أحد وجرف السلسلة وقد تم وضع العمود الحدودي عند النقطة الوسطية. ثم ظهرت إلى البعيد ناحية الجنوب كتلة جبال جديدة يمنية، كنا قد رأيناها من قبل من عند عصعر، وكأنها هضبة حادة الجنبات، إلاَّ أن مرشدَيَّ لم يقدما لها اسماً. كان كل من قرن سبط وقرن بلحارث مرئيين لنا ناحية الشمال وناحية الشرق بالتتالي، بينما تقع أمامنا تقريباً، سلسلة شاعر ومعها ممر علب الذي يقع في طرفها الشمالي.

وصلنا بعد مسيرة ٤٠ دقيقة على الأقدام إلى الطرف الغربي الأقصى لأرض سبهتل النجدية، والتي تنفصل عن هضبة مماثلة ولكن أصغر منها تقع ناحية الغرب وتسمى محدثاً، بواسطة مضيق عميق ينحدر إلى ٦٠٠ أو ٧٠٠ قدم بين صخور شديدة الانحدار والتي يسقط من فوقها مسيل محدث في طريقه للاتصال مع ثيبان. يقع العمود الحدودي التالي (رقم ٣١) على حافة محدث على بعد ٢٥٠ ياردة من موقعنا، عبر المضيق، قليلاً ناحية الشمال الغربي، وفي خط مستقيم عبر شعيب مزيرة، مع رأس مسيل علب حيث يهوى إلى الجرف. لقد أرهقتني ضغوط

عمل اليوم وقد تقدم النهار وضعفت مقدرتي على العطاء، بينما حذرتنا طبول الرعد المتدحرجة من ناحية الغرب فوق فيفا بأنه قد حان الوقت لمغادرة المرتفعات إلى الأرض. أجَّلتُ رؤية عمود محدث الحدودي وأسرعنا إلى المعسكر. كنا نرى زملاءنا وهم مستريحون في الأسفل، على بعد يقل عن ميل واحد، في حوض البيضاء عند سفح الجبل، على بعد ٥٠٠ قدم إلى أسفل من موقعنا. كان الهبوط صعباً بحق على الصخر الرملي من أعلاه إلى أسفله. كانت الطبقات السفلى، وإلى عمق ٣٠٠ قدم، من حجر رملي أكثر بياضاً من الرخام وكان في تضاد مثير مع اللون الأسمر المحمر والصخور السوداء في المستويات العليا.

كان القمر بدراً هذه الليلة، يلمع فوق مخابي انسحابنا بين الجروف الضخمة التي شمخت فوقنا، وهي جروف بيضاء وقفت في شبه دائرة كبيرة من عند التلال العالية حول الحوض الذي يجري فيه مسيل بياض ناحية الشرق. تمثل مجموعة الطيور هنا بطيور السوَّادية والأبلق، بينما لاحظنا أثناء النهار آثار الوعل على تل سبهتل وشاهدنا كذلك بقايا ماعز كان قد قتله ذئب وأكله.

تحول الطقس إلى الدفء، وكانت الدرجة الدنيا للحرارة في هذا الموقع المحمي ٥٩ درجة، بينما كانت الحرارة في وادي مهد المحمي أيضاً ٥٢ درجة لقد شققت تأثيرات الشمس نهاراً، والرياح الباردة عند القمم، والظروف المعتدلة في هذه الليالي، إضافة إلى التسلق الصعب بين الصخور، كلاً من وجهي وأنفي وأصابعي وظهر يدي إلى الدرجة التي لم تزعجني فقط، بل سببت لي متاعب خطيرة. كانت ذروة ذلك خلال مسيرة اليوم، حينما اكتشف أنه، عن طريق إهمالي وعدم انتباهي، فإن بعض تقرحاتي بدأت تتقيح وتمتص طاقتي. لم يكن

معي من المؤن الطبيـة غير اللفافات، إلاَّ أنني جلست اغـتسل بالماء والصابون عند المسـاء لإعـادة صيـانة جـسـمي، وكنت في الصـبـاح أؤدي عمـلي وأنا ملفلف بالشرائط، غير أن ذلك لم يكن نهاية متاعبي بأي حال.

واصلنا عـملنا في الصباح خـارج البيـضاء على امـتداد خطوط الكفـاف لسفح محدث، الذي يرتفع تدريجـياً وهو أمر صعب على الحيوانات السالـكة في الممر، غير أنه لم يكن صعبـاً علينا مع بعض الزحف من حين لآخر. استغرق وصـولنا إلى حافة هضبة محدث حوالي نصف الساعة، وكانت أقل ارتفاعاً من سبهتل بحوالي ٢٠٠ قدم وتقع تجاه الغرب من عـمودها الحدودي. مررنا بعدد من البرك الصخـرية أثناء صعودنا وكانت كلها مليـئة بالمياه نتيجـة للأمطار الأخيرة، كمـا كانت هنالك برك بين جروف البيضاء، غيـر أن الأخيرة هذه يقال عنها إنها تجف صيفاً. كانت قـمة محدث مكسوة بالشجيرات الخفيضة وببعض أشجار القمر وبشجرات الشعث زيتونية اللون.

سرنـا على الأقدام فـوق هذه الهضـبة مدة ١٥ دقـيقـة، لنصل إلى العـمود الحدودي التالي واسمه رأس مـزيرة (رقم ٣٢)، وقد تخرب تماماً، ربما بفعل الرياح والسيول. يقف العمود بجوار بركة كبيرة ضحلة، كانت جافة تماماً في هذا الوقت، داخل حوض من حجر رملي عند زاوية الهضبة حيث يهبط مسيل شعيب القوم من عند سلسلة حضـر ناحية غـرب الشمال الغربي من مـوقعنا، ويتفـرع إلى جزأين، أحدهما يجري شرقاً ليكوِّن رأس شعيب مزيرة ويتجه الآخر جنوباً ليصب في الجزء الأعلى من مجرى علب، الذي يجري إلى أسـفل حيث وادي شجا. كان علينا أن نبحث عن طريق مـختصر وقـد واجهتنا جلامـيد عالية، مما دفـعنا للعودة على أثر طريقنا لبعض المسافة ثم لنصعد وبمشقة إلى أسفل المجرى لمزيرة الأعلى، والذي كنا قد سلكناه إلى مضيق ضيق على ارتفاع ٧٦٥٠ قدماً فوق سطح البحر، والذي كان

يمر عبر طريق الجمال اليمني الذي يتجه إلى مسيل علب ومن ثم على امتداد مزيرة ليمر داخل شعيب القوم. تجمعت أشجار العرعر في هذه المنطقة، وكنا قد رأيناها متفرقة حول سبهتل، وكان بعضها هنا مثمراً. كانت الشجرة اللافتة للانتباه التي رأيناها لأول مرة في شعيب مزيرة هي شجرة كثا، التي اتضح أنها زيتون بري.

تضمن الغطاء النباتي العالي المحلي نبات مجرح ونبات أثق كما قابلنا ونحن في طريقنا إلى هذا المكان، فتاة في السادسة عشرة من عمرها (غير متزوجة) ترتدي سمقاً جميلاً حديث الصبغ بالنيلة وكانت خصلات شعرها مدهنة جيداً ومكشوفة، وهي تمضي في طريقها وحيدة من عند مخيمها وذلك لزيارة للجرف المجاور. كانت فيما يبدو شخصية مشهورة، فهي واحدة من ستة من البنات، تزوج اثنتان منهن، والدهن هو محمد بن شيخ من قبيلة وادعة، الذي مات منذ زمن دون أن يخلف أبناء ذكور يرثونه.

استغرق وصولنا إلى العمود الحدودي (رقم ٣٣) عند رأس شعب القوم حوالي ساعة كاملة من المشي الجاد المرهق على الأقدام عبر مجاري صعبة لكل من مزيرة وشعب القوم، على ارتفاع ٧٧٠٠ قدم فوق سطح البحر. تقع كل الهضبة داخل الزاوية التي يكوِّنها هذان المسيلان وكانت هضبة خضراء مريحة وبها العديد من المنخفضات المشجرة التي أصابتها الأمطار الأخيرة وبدت طازجة المظهر. اتجهنا الآن ناحية الجنوب الغربي، عبر التركيبة نفسها من الصخر الرملي لهضبة البلاد، التي انتهت فجأة عند قاعدة الوتر للسلاسل البركانية التي تكون القمة، للجرف الفعلي، الذي ينحدر من الجانب البعيد إلى هوة تهامة وإلى صدوعها. ثم تسلقنا السفح الشرقي الصعب لسلسلة بركانية لنقف على قمتها على ارتفاع ٧٨٠٠ قدم فوق سطح البحر. يقف العمود الحدودي لعبل على هضبة منعزلة على مسافة قليلة من

موقعنا، تجاه جنوب الجنوب الغربي عند رأس العقبة المشهور، ومن عنده يهبط طريق شديد الانحدار عبر فتحة في الصخر تسمى حنكة، ثم إلى قرية مريسيقة اليمنية التي تقع إلى أسفلنا بحوالي ٢٠٠٠ قدم وتبعد مسافة ميلين في خط مستقيم موقعنا.

لم نكن في عجلة من أمرنا للذهاب إلى العقبة حيث سيكون معسكرنا، أثناء جلوسنا على السلسلة نستمتع بالمنظر، وصل إلى سمعي صوت يشبه صوت حصان يعدو، لم يكن لديَّ الوقت لأسجل هذه الظاهرة، حينما برز من عند الزاوية للسلسلة وعل ذكر مكتمل النمو، كائن رائع ذو قرون ثقيلة، يخب أمام عيوننا بيسر فوق صخور البازلت الصعبة. لقد كان رجل الشرطة الجالس بجواري بطيئاً في استعمال بندقيته واختفى الحيوان من وراء منحنى في الجرف قبل أن أجد وقتاً أطلق فيه رصاصة. لم يتملكني الأسف على ذلك، على أي حال. كانت هذه هي أول مرة أرى فيها وعلاً في بيئته المحلية الطبيعية في جبال الجزيرة العربية، وقد رأيت الحيوان بكامله أمامي مدة دقيقة كاملة على مسافة ١٠٠ ياردة مني، وهو مشهد لا يمكن أن ينسى. أسرع محمد بن مسفر فوراً في ملاحقته، غير أنه لم يره مطلقاً. لقد كانت أمامه فرصة الحياة غير أنه لم يكن مستعداً لها حينما جاءت.

كان المنظر فوق جبال تهامة يمتد أمامنا باتساع غير أنه قد اعترضت صفاءه سحب منخفضة، مما جعل التقاط التفاصيل أمراً صعباً. تقف الأرض المرتفعة البركانية التي تسمى مندبة مباشرة خلف العقبة وداخل أرض يمنية ممتدة غرباً لتكون زاوية مع سلسلة عبل – حضر، والتي نقف نحن فوقها الآن، وهي تمتد من الجنوب إلى الجنوب الغربي، وتحجب المنظر في ذلك الاتجاه. غير أن كتل كل من مرعة وقعمة قراد قد برزتا جزئياً فيما يلي وأعلى من كتف مندبة وإلى اليسار، وكان جبل فيفا بارزاً بين جبال تهامة ناحية الغرب ومن حوله كتل منجد وظهران وغيرها.

سرنا على مـهل إلى العقـبة لنعسـكر في كهوف رائعـة في صخـوره الرملية الترسبيـة أسفل قمة البازلت. يقع الممر على ارتفاع ٧٥٠٠ قـدم فوق سطح البحر في منخفض في قمة الجرف. وقد سـيطرتُ على منظر عظيم من عند كهفي، يمتد من ضلع إلى آخر لأكتاف الجبال البارزة من الجدار الشديد الانحدار للجرف. وهو جدار يرتفع إلى ٢٠٠٠ قدم ويتـعرج تجاه الشمال في سلسلة مصـفوفة من أراضٍ رأسية، وجدار من صـخر رملي أحمر تكسوه قلنسوة رفـيعة من البازلت، والذي كسحت حـجارته المتساقطة المائة قدم العليـا من صخرة التحتي. كنت مـرهقاً جداً عند الوصول، ومتعباً بسبب التسلق ولا أزال أشعر بآثار تقرحاتي الملتهبة.

استلقيت بسـبب ذلك لأنام في كهفي، وبرغم الإزعاجات الصـادرة من أكثر من جهة، إلا أنني قد نمت براحة كافيـة من الساعة ٢,٣٠ حتى غروب الشمس، حيث كنت مستـعداً لتناول بعض المنعشات، مع عدم ميلـي إلى النشاط. صحوت عند الساعة ٤,٣٠ على جلجلة رعد عنيف، معلناً لنا بقدوم العاصفة. ثم جاءت العاصفة، مندفعـة شمالاً في مقدمة إعصار، غيـر أنها تركتنا جافين وأمطرت فوق الجبال الـواقعة ناحيـة الغرب إلا أن العاصفـة عادت مرة أخرى ولكنهـا لم تصبنا للمرة الثانية، وقـد مرت فوقنا تجاه الشرق. ثم اختفت العاصـفة نهائياً مع غروب الشمس، وقد صفـا الجو ليعبره القمر، إلاَّ أن الجـو قد برد إلى جانب أن قروحي والشرائط ومع الألم الواخز قد سببت لي الـكثير من عدم الراحة، وجعلني أحس بأنني خارج حالتي الطبيعية. عـزلت نفسي -على أي حال- في كهفي وقد فاتتني المجمـوعة الـضاحكة من رجـال الحمـير الذين عـادوا بعلب فارغـة من بقم إلى ظهران، وهم يتلكأون ليدركوا فرصة تناولهم العشاء مع رفاقي.

قررت أن أقضي كل يوم الغد (٢٩ نوفمبر) هنا وأن آخذ الأمور ببساطة وأعطي لنفسي فترة استرداد للعافية. كان الموقع مريحاً حقاً لكي أنال إجازة، وقد واكبنا الحظ في أن نعترض مسار شحنة عنب لذيذ كانت متجهة إلى سوق ظهران. لقد كانت قافلة كبيرة من الجمال والحمير وأقبلت عبر طريق يتلوى من بقم هذا الصباح. كانت الحمير محملة بالعنب في الصناديق الخشبية المعروفة. التي تم صنعها أصلاً لتحتوي على علب البرافين، بينما حملت الجمال المواد الثقيلة الأخرى مثل البن في حقائب (مزودات) مصنوعة من جلود الجمال.

يجري وادي علب، من عند الممر، وهو هنا أشبه ما يكون بالمسيل، تجاه الجنوب الشرقي. ثم يدور الطريق على مسافة ٥٠٠ ياردة ليهبط إلى أسفل عبر ممر صعب بين سلاسل منخفضة، ليرتفع مرة أخرى سريعاً إلى ممر آخر يسمى شطبة الذي ينساب من عنده مسيل يقود مباشرة إلى قرية يبد. يلتف الوادي من هناك تجاه الغرب إلى ممر أم حديدة الرئيس (باب الحديد)، الذي يقع على مسافة ميلين تجاه الجنوب من عند عقبة علب، ويبعد تقريباً نحو ثلاثة أميال إلى الشمال من بقم. لم نستطع رؤية أي من القرى التي ورد ذكرها. يجري الطريق ناحية الجنوب الشرقي من بقم مسافة ١٥ ميلاً إلى سقي فوق أرض بني جمعة، ومنها وبمسافة مماثلة، إلى سعيد في أرض بني سحر -تنتمي إلى ابن منعة-. يتبقى بعد ذلك مسافة خمسة أميال فوق سهل منزرع ليصل الطريق إلى صعدة.

يبدو أن علب هو الاسم المحلي الذي يستخدم للممر الذي يشار إليه غالباً باسم علبين في داخل البلاد، مثلاً، في نجران والرياض. يعني هذا بوضوح أن «علبين» هي مثنى «علب» ويشير إلى الصفة المزدوجة للعقبة، التي ليست فقط تقود إلى اليمن عن طريق بقم كما ورد وصفه، بل تلتقي إلى أسفل بطريق قديم

في الصدوع المنحدرة لحنكة وفي اتجاه تهامة. تقع قرية مـريسيقة اليمنية عند أسفل حنكة على بعـد ٢٠٠٠ قدم إلى أسفل من مـوقعنا، وهي مـحتضنة بين سـفوح مضيق يسمى شعثة،وهي قرية تنتمي إلى عناصر من قبيلة سحر التابعة لخولان.

يغيـر حنكة، ومعه تلال حرف وخـيمة على جـانبه الأيسر اسمـه أسفل هذا الموقع، إلى اسم أم جوة وذلك بعد تـدفق مسايل أخرى إليه وينسـاب إلى شعيب موتان إلى أسـفل في شبكة واسعة من التـلال، وهذا بدوره ينحدر إلى وادي دفع الذي سنصله في وقته. لا توجد قرى، إلى جانب أطلال قرية رهوة (أيضاً سحر) على مسافة ميل واحد إلى أسفل، في هذه السلسلة من المسايل، غير مريسيقة التي يوجد بها برجـان و١٢ من عشش ذات طابق واحد كلها مـبنية من اللبن في وسط الحقول والنخيل.

يكون الشريط العام -حنكة- جـوه- موتان- ريث، الخط الحدودي الذي كان يعلّم على فـترات بالأعمـدة، التي لم أقم بزيارتهـا ولكني نظرت إليهـا، وكانت أحيـاناً بلا وضوح تام، وذلك من عدة نقـاط من على الجرف وبهـذا استطعت أن أضعـها على الخريطة مع درجـة قريبة من الدقـة. لم أرغب في الإساءة إلى آداب المعايشة بسؤالي عن إمكانية الحصول على دليل من مريسيقة اليمنية الذين يبدو أنهم غير واعين بوجودنا في الممر أو أنه لا يهمهم الأمـر ليقوموا حتى بزيارتنا. شعرت حقيقة، بأنني أنفـر من الإجهاد الذي ستسببه دراسة تفصـيلية لعلامات الحدود في تلك المنطقة. لقد رحب رفاقي بحمـاس بقراري أن نسلك الطريق الأقل مقاومة لنا وأن أكتفي باعتـبار المنظر التحليقي للحدود في تلك المجمـوعة المرتبكة من التلال والسلاسل والمسايل.

كان العمود الحدودي والذي يحمل الرقم ٣٤ على صخرة صغيرة بارزة بالقرب من ممر علب آخر علامات الهضبة. تجري الحدود من عنده إلى أسفل إلى حنكة إلى موقع قريب من أطلال رهوة التي يقف في مقابلتها وعلى جانب الوادي الأيمن عمود رهوة (رقم ٣٥) الذي يبعد حوالي ميلين من الممر. تتبع الحدود بعد ذلك مجرى حنكة مارة بالجانب الشمالي لسلسلة حرف وسلسلة خيمة، غير أن الأعمدة، مرتدة إلى الجانب الأيسر، تسلك طريقاً مختصراً عبر قاعدة الانبعاج، على امتداد الشريط للممر القديم الذي يقود من غرب رهوة إلى بلاد بني ريث.

توجد ثلاثة أعمدة في هذا الامتداد القصير من الأرض، كلها قائمة فوق هضبات منخفضة أو سلاسل، وهي: برق (رقم ٣٦)، بيضة (رقم ٣٧) ونجد كحل (رقم ٣٨)، معلمة ممراً منخفضاً الذي يبدو الطريق من بعده هابطاً إلى أم جوة، عند نهاية الانبعاج البعيدة. تقف قشبة (رقم ٣٩) ومجزع القرظ (رقم ٤٠) وهما العمودان الحدوديان التاليان، على نقاط على السلسلة التي تكون الجانب الأيسر لهذا المجرى، بينما يقع العمود الحدودي رقم ٤١ وهو آخر الأعمدة التي تهمني فوق عرن سلسلة منجد أو ظهران، تقريباً عند الموقع الذي يترك فيه أم حوة المجال لوادي دفع، بعد اتحاده مع مصارف أخرى من الجانب الشرقي لهذه الجبال، لقد قدرت أن المسافة من عند ممر علب إلى عمود حمرة هذا، حوالي سبعة أميال، غير أن طول الحدود الفعلي بين هذين الموقعين من حول الانبعاج كان على الأقل ضعف تلك المسافة.

تقع حمرة قليلاً إلى الجنوب الغربي من علب، بينما كان الطرف البعيد للانبعاج الشمالي على بعد أربعة أميال اتجاه الشمال الغربي، كان المنظر محجوباً، فيما يلي حمرة، بسلسلة فيفا وشقيقاتها العملاقة، وهي جبال عظيمة تشمخ إلى

٧٠٠٠ قدم فيما يلي ارتفاعات أقل تقع بينها وبين الجرف العظيم. نحن لا نرى شيئاً من سهل تهامة ولا البحر، غير أن ميناء جازان يقع على بعد ٥٠ ميلاً في خط مستقيم مع فيفا، ناحية الجنوب الغربي. يعترض المنظر الذي نشاهده كل من الجبل الأسود وجبل مرعة من جهة الجنوب، بينما لا تزال بربر تشاهد من جهة الجنوب الشرقي.

أقبلت العاصفة للمرة الثانية من جهة الجنوب، غامرة للمرتفعات الجنوبية الغربية بجداول مياه أمطارها وقد حولت المعسكر إلى حالة بائسة وكانت تصحبها رياح باردة ظلت تهب على مدى ساعتين بعد غروب الشمس. تحسنت الأحوال كثيراً مع تقدم المساء وقد صفت السماء واستقرت مجموعتنا بعد يوم قليل الجهد ووجبة عشاء يسودها اللحم والعنب في كهفي في آخر ليلة لي أقضيها فوق الهضبة الحدودية. سنكون متجهين إلى وطننا صباح الغد وطننا الذي لن نصله إلاَّ بعد شهرين ونصف الشهر. سيكون أمامنا العديد من الجولات وكثير من المحن ولمدة تصل إلى ثمانين يوماً في أرض أكثر غرابة من صحراء الجزيرة العربية – أرض استوائية من سهل وجبل ويسكنها أناس أكثر بدائية من عرب صحراء الجزيرة العربية.